واضحة عما يجول في النفس انفعالياً أو عقلياً بعد مشاهدة الظاهرة السلوكية والتعابير اللغوية والحركات الشعورية واللاشعورية . وذلك من خصائص الملاحظة التي يقوم بها العالم القدير في ميدان اختصاصه دون سواه .

والملاحظات السلوكية حقيقة علمية ، فالانسان يتعرف الى السرور بمشاهدة انشراح أسارير الوجه والتبسم أو الضحك ، ويتعرف الى الغضب بانكماش الوجه وتقلص العينين وتصلب اليدين وتجمع القبضتين. ويدرك الحزن في غيره إذا شاهد مظاهر الارهاق وارتخاء الشفاه وتدلي الجفون وضعف بريق العيون .

وهذه المظاهر السلوكية قد يلاحظها الباحث على الراشد ، ولعلها أشد وضوحاً لدى الطفل والشاب حين يتعرف على مشاعرهما. كما أن هذه الملاحظات تعرفنا على التكوين النفسي لدى الحيوان إذاغضب او فرح ، وإذا حزن او رضي .

التجريب Experimental Method :

استعان علم النفس التكويني في بعض دراساته بالتجارب ، وتمتاز التجارب بالضبط والعزل والقياس ، فالضبط هو التحكم في كل العوامل المتغيرة المتداخلة في تلك الظاهرة التي يراد دراستها تحكماً يستطيع معه المجرب معرفة العوامل جميعها وتثبيتها . وأما العزل فهو استخلاص العوامل المتغيرة التي يراد دراستها واعطاؤها الفرصة المناسبة للتفاعل والتكوين . ففي دراسة التكوين اللغوي مثلاً يقوم الباحث بتأليف مجموعتين من الاطفال في سني المهد . يسمي الأول المجموعة الضابطة ، وتترك ظروفها للنمو في بيئة عربية كاملة صافية. وتحاط المجموعة الأخرى ببيئة يتكلم افرادها لغات مختلفة ، فالأب يتكلم لغة لا تحسنها الام ، وللأخوة والاقارب لغات اخرى يتكلمونها. وبعد سنوات تقارن النتائج ، فالمجموعتان بدأتا من بدء واحد وهو عدم القدرة على الكلام مع وجود الاستعداد الفطري له وقت النضوج . أما تحديد اللغة وعدد المفردات ومستوياتها فذلك خاضع لعوامل التجربة المقصودة التي يحدد عواملها أفراد البيئة المتجانسة العربية في الاولى

والافراد المختلفون في لغة التخاطب وما لها من آثار تنعكس في التكوين اللغوي لدى افراد المجموعة الثانية . فالمجموعة الاولى تسمى : « المجموعة الضابطة Control Group » ، والمجموعة الثانية : « المجموعة التجريبية Experimental Group ». فالتجريب هو في تغيير عامل من عوامل الظروف ثم ملاحظة التغيير في النتائج مقارناً مع ظروف لم تتبدل عواملها .

ولقد خطا علم النفس التكويني خطوات تجريبية واسعة في أواخر القرن التاسع عشر على يد « وِلْهِلْم فونت W. Wundt » (١٨٣٢ — ١٩٣٠ حين عين بجامعة ليبزج Leipzig) [1] وحين قام ١٨٨١ م بتأسيس اول معمل للدراسات النفسية. وتحددت بذلك معالم ما يسمى بعلم النفس التجريبي .Experimental psy وبعد ذلك تعددت معامل علم النفس في المانيا وفرنسا وانكلترا وانتشرت انتشارا واسعاً في الولايات المتحدة وقامت دراسات تجريبية في الاحساس والتكوين الحركي. والتأثرات الانفعالية والتعلم ومستوياته . والحفظ وطرائقه والنسيان ودرجاته وأسبابه . والذاكرة وقوتها واضمحلالها . وتسجيل تداعي الافكار وآثار التعب العقلي أو الارهاق العضلي على العمليات الادراكية .

وقد ساعد علم النفس التجريبي على معرفة الفروق الفردية في التكوين العقلي او المزاجي او الحركي . وشملت التجارب ايضاً انتباه الانسان وهل يستطيع الانتباه الى شيئين معاً في وقت واحد ؟ وهل الحفظ على فترات احسن واسرع من الحفظ المستمر ؟ ! .

ولقد تقدمت التجارب في علم النفس التكويني — رغم انها حديثة — وقد ألحقت بأكثر الجامعات العالمية معامل نفسية بأقسام علم النفس وزودت تلك المعامل بأجهزة دقيقة واختبارات مقننة تساهم دورها في دراسة التكوين النفسي للانسان وتطبيقاته التربوية والاجتماعية والمرضية .

---

(١) مدارس علم النفس المعاصرة . وودورث . ترجمة كمال دسوقي ، منشورات علم النفس التكاملي — القاهرة — دار المعارف ١٩٤٨ ص ٣٨٦ .